

الرَّسَّالَةَ ١٨٢

لِمَاذَا سَقَطَتْ يَا زُهْرَةَ بِنْتَ الصُّبْحِ؟!

(Arabic – O morning star, son of the dawn!)

أحبائي.. حديثنا اليومَ موضوعُهُ: لِمَاذَا سَقَطَتْ يَا زُهْرَةَ بِنْتَ الصُّبْحِ؟!

ومن سفر إشعياء النبي الأصحاح الرابع عشرَ نقرأ العددَ الثاني عشرَ:

"كَيْفَ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهْرَةَ بِنْتَ الصُّبْحِ؟! كَيْفَ قَطَعْتَ إِلَى الْأَرْضِ يَا قَاهِرَ الْأُمَمِ؟!"^١

مَا خَلَقَ اللهُ كَائِنًا مِنَ الكَائِنَاتِ لِيَكُونَ شَرِيرًا. أَمَا ذَلِكَ المَخْلُوقُ الَّذِي عُرِفَ بِالكِتَابِ المُقَدَّسِ بِاسْمِ إبليسَ وَمَعْنَاهُ المُفْتَرَى. وباسمِ الشَّيْطَانِ وَمَعْنَاهُ الخَصْمُ. لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ اسْمُهُ فِي الْأَصْلِ قَبْلَ سَقُوطِهِ. لَمْ يَكُنْ يُعْرَفُ بِالاسْمَيْنِ سَالِفِي الذِّكْرِ ذَلِكَ المَلَكُ السَّاقِطُ. كَانَ اسْمُهُ كَمَا جَاءَ بِسُفْرِ إِشْعِيَاءَ: زُهْرَةَ بِنْتَ الصُّبْحِ أَوْ كوكبُ الصُّبْحِ. وَهُوَ اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى أَحَدِ كَوَاكِبِ المَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَّةِ. كوكبُ فَاتِقِ المَعَانِ بَعْدَ الشَّمْسِ والقَمَرِ واسْمُهُ بِاللَاتِينِيَّةِ Lucifer كَانَ مِنَ أعْظَمِ المَخْلُوقَاتِ كَمَا جَاءَ عَنهُ بِسُفْرِ حَزَقِيالِ النَّبِيِّ. كَانَ ذَلِكَ الكَائِنُ الرَّائِعُ فِي جَمَالِهِ البَدِيعُ فِي صِفَاتِهِ قَرِيبًا مِنَ العَرْشِ الإلهِيِّ المَجِيدِ. قَبْلَ سَقُوطِهِ فِي خَطِيئَةِ الكِبْرِيَاءِ. وَخِذَاعِهِ لِبَعْضِ المَلَائِكَةِ الَّذِينَ أسْقَطَهُمْ مَعَهُ.^٢

وبالرجوع إلى الأصحاح الرابع عشرَ من سفر إشعياء ندرِكُ سِرَّ سَقُوطِ Lucifer. يُسَجَلُ الوَحْيُ أَنَّهُ قَالَ فِي قَلْبِهِ: "أصْعُدُ إِلَى السَّمَوَاتِ. أرفعُ كُرْسِيَّ فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهُ. وأجسُ على جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقْصَى الشَّمَالِ. أصْعُدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أصيرُ مِثْلَ العُلِيِّ". كَانَ سِرُّ سَقُوطِهِ أَنَّهُ فَكَّرَ فِي قَلْبِهِ أَنْ يَسْتَعْنِيَ عَنِ القَدِيرِ. رَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْتَلَّ كُرْسِيَّ اللهُ وَيَقْضِيَ لِكُلِّ الخَلِيقَةِ. إِنَّ جَبَلَ الاجْتِمَاعِ فِي أَقْصَى الشَّمَالِ. يُشِيرُ إِلَى حَيْثُ يَقْضِي الرَّبُّ وَيَحْكُمُ سَائِرَ المَخْلُوقَاتِ. لَقَدْ دَخَلَ قَلْبُهُ زَهُوٌّ وَكِبْرِيَاءٌ. فَقَدْ تَجَاسَرَ وَنَطَقَ بِكَلِمَاتٍ مِثْلَ: "أصْعُدُ. أرفعُ. أجسُ. أصيرُ". وَهَذِهِ تَدَلُّ عَلَى تَعَاطُفِهِ وَتَشَامُخِهِ. يَقُولُ الحَكِيمُ فِي أَمْثَالِهِ: "مَكْرَهَةُ الرَّبِّ كُلُّ مُتَشَامِخِ القَلْبِ. وَيَقُولُ أَيْضًا: قَبْلَ الكَسْرِ الكِبْرِيَاءُ وَقَبْلَ السَّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ".^٣

لَقَدْ سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ ذَلِكَ المَدْعُوُّ الزُّهْرَةَ كوكبُ الصُّبْحِ. وَانْحَدَرَ لوسيفرُ قَاهِرُ الْأُمَمِ. وَفَقَدَ ذَلِكَ المَخْلُوقُ الَّذِي كَانَ بَهِيًّا فِي ضِيَائِهِ امْتِيَازَاتٍ مِنَ العَسِيرِ التَّعْبِيرِ عَنهَا. إِنَّ كِبْرِيَاءَهُ وَتَشَامُخَ رُوحِهِ أَضَاعَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ بَيِّنٍ يَدِيهِ وَإِلَى الأَبَدِ. بَلْ ذَخَرَ لِنَفْسِهِ غَضَبًا فِي يَوْمِ الغَضَبِ وَاسْتِعْلَانَ دِينُونَةَ اللهُ العَادِلَةِ. انْحَدَرَ إِلَى الهَاوِيَّةِ إِلَى أسَافِلِ الجُبِّ يَنْتَظِرُ أبْشَعَ مَصِيرٍ. لَقَدْ قَضَى اللهُ عَلَيْهِ بِالسَّقُوطِ مِنَ السَّمَاءِ. كَمَا قَضَى عَلَى بَعْضِ مِنَ المَلَائِكَةِ كَانَ قَدْ خَدَعَهُمْ بِنِفَاقِهِ وَكَأذِيبِهِ. وَسَيَبْقَى مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ حَتَّى يَحِلَّ بِهِ قَضَاءُ اللهُ النِّهَائِيَّ. بَعْدَ ابْتِدَائِهِ فِي النَّارِ الأَبَدِيَّةِ المَعْدَةَ لَهُ وَلِمَلَائِكَتِهِ. وَسَيَلْحَقُ بِهِمُ البَشَرُ الرَّافِضُونَ خَلَاصَ الرَّبِّ التَّابِعُونَ غَوَايَةَ إبليسَ المُفْتَرَى.^٤

ذَلِكَ المُفْتَرَى هُوَ أَصْلُ الفَسَادِ وَالخَرَابِ وَالدَّمَارِ. هُوَ أَصْلُ المَرَارَةِ لِلجنسِ البَشَرِيِّ. وَهُوَ بَاقٍ عَلَى شَرِّهِ وَخِذَاعِهِ وَتَدْبِيرِهِ لِلْمُؤَامَرَاتِ لِاقْتِنَاصِ كُلِّ فَرِيسَةٍ تَطُولُهَا مَخَالِبُهُ. إِلَى أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ دِينُونَتِهِ لِيُطْرَحَ فِي البَحِيرَةِ المُنْقَدَةِ بِالنَّارِ وَالكَبْرِيتِ. جَاءَ بِسُفْرِ التَّكْوِينِ الأصْحَاحِ الأولِ أَنْ الأَرْضَ كَانَتْ خَرْبَةً وَخَالِيَةً وَعَلَى وَجْهِ العَمْرِ ظَلْمَةٌ. فَهُوَ مُؤَسَّسُ مَمْلَكَةِ الظُّلْمَةِ. وَلَكِنَّ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَتْ قُدْرَتُهُ عَادَ إِلَى الأَرْضِ نَوْرَهَا وَحُسْنَهَا كَمَا جَاءَ فِي مُسْتَهْلِ سُفْرِ التَّكْوِينِ. وَلَقَدْ أُعْطِيَ اللهُ سَيَادَةَ الأَرْضِ لِأَدَمَ وَحَوَاءَ. وَلَكِنَّ هَذِهِ السِّيَادَةَ لَمْ تَدُمْ طَوِيلًا. فَقَدْ خَدَعَهُمَا إبليسُ وَتَسَبَّبَ فِي انْفِصَالِهِمَا عَنِ اللهُ. وَتَسَبَّبَ فِي طَرْدِهِمَا مِنَ الجَنَّةِ. وَحَرَمَانِهِمَا مِنَ التَّمَتُّعِ بِمُحَضَّرِ اللهُ البَهِيِّ.^٥

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر إشعياء ١٤: ١٢ ، ، رسالة بطرس الرسول الأولى ٥: ٨ ، سفر حزقيال ٢٨: ١٢ - ١٥
^٢ رسالة يهوذا ٩ ، رسالة بطرس الرسول الأولى ٥: ٨ ، سفر حزقيال ٢٨: ١٢ - ١٥
^٣ سفر إشعياء ١٤: ١٣ - ١٤ ، سفر الأمثال ١٦: ٥ & ١٨
^٤ سفر إشعياء ١٤: ١٥ - ١٩ ، إنجيل متى ٢٥: ٤١
^٥ سفر التكوين ٢: ١٥ & ٣: ٢٣ - ٢٤

لقد قدّم إبليسُ مشورتهُ لأدمَ وحواءَ فسمعا وأطاعا. وخالفا وصيةَ اللهَ لهما. فأصبحَ إبليسُ سيِّداً عليهما وبسيادتهِ انتزعتُ منهُما كلُّ سيادةٍ لهما. ومن هنا بدأتُ سيادةُ إبليسَ على الجنسِ البشريِّ وعلى ممالكِ الأرض. ولكنّها كانتُ سيادةً مؤقتةً. فلقد جاءَ ابنُ اللهِ السيِّدُ المسيحُ لِينادِي للمأسورينَ بالإطلاق. ويُرسلُ المُتسحِّقينَ في الحرِّيةِ. ويكرزُ بسنةِ الرَّبِّ المقبولةِ. جاءَ ليؤسِّسَ ملكوتاً سماوياً. والذين يقبلونَ بالإيمانَ تديبِراً اللهُ للخلاصِ في شخصِ الرَّبِّ يسوعَ همُ أبناءُ الملكوتِ السماويِّ. يقولُ بولسُ الرسولُ في رسالتهِ إلى مؤمنِي فيلبِّي الأَصْحاحِ الثالثِ: "فإنَّ سيرتَنَا نحنُ هيَ في السَّمَوَاتِ التي مِنهَا أيضاً نَنتظرُ مُخلصاً هوَ الرَّبُّ يسوعُ المسيحُ. الذي سيغيِّرُ شكلَ جَسَدِ تَوَاضَعِنَا ليكونَ على صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ بحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخَضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ".^١

إنَّ المُفتريَ المُسمَّى بابليسَ. الخَصَمَ المُسمَّى بالشَّيْطَانِ. يَعْرِفُ اليَوْمَ مَا مَصِيرُهُ المَحْتومِ في الغَدِ القريبِ. إنَّ كُلَّ هَدْيِهِ وَقَصْدِهِ الآنَ أَنْ يَأْتِيَ بالبِشَرِ الذينَ أَحَبَّهُمُ الأبُ السَّمَاوِيُّ وَبَدَلَ ابْنُ اللهِ دَمَهُ الغَالِي مِنْ أَجْلِ حَيَاتِهِمُ الأَبَدِيَّةِ إلى ذاتِ المَصِيرِ الذي يَنتظرُهُ هوَ. إنَّهُ يَحاولُ بِكُلِّ جُهْدِهِ أَنْ يُشكِكَ في أقوالِ اللهِ وَمواعيدِهِ. لقدَ أغْرَى حَوَاءَ بأنَّ تَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ الشَّجَرَةِ التي في وَسَطِ الجَنَّةِ. (١) بالتشكيكِ قائلاً لها: "أحقاً قالَ اللهُ؟. ثمَّ (٢) بالكذبِ قائلاً لها: لَنْ تَموتَا!. بل اللهُ عَالِمٌ أَنْ يَوْمَ تَأْكُلانِ مِنْهُ تَتَفَتِحُ أعْيُنُكُمَا وتكونانِ كَاللهِ عَارِفِينِ الخَيْرِ والشَّرِّ. فأخَذتُ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلتُ وَأَعْطتُ رَجُلَهَا أيضاً مَعَهَا فَأَكَلَ". كانَ اللهُ قَادِراً أَنْ يَهْلِكَ أَدَمَ وَحَوَاءَ في الحَالِ لِعِصْيَانِهِمَا وَتَمَرُّدِهِمَا عَلَيْهِ. ولكنْ لَمْ تَكُنْ مَشِيئَةُ اللهِ أَنْ تَنجَحَ خُطَّةُ إبليسَ لِهَلَاكِ مَنْ خَلَقَهُمَا اللهُ على صُورَتِهِ. لقدَ كانتُ خُطَّةُ اللهِ مِنْذُ الأَزَلِ هيَ خَلاصُ الجنسِ البشريِّ. فلذا جاءَ ابْنُ اللهِ مُجَسِّداً لِيَتِمَّ مَشِيئَةُ الأبِ لِفِدَاءِ الإنسانِ.^٢

وَمَا عَجَزَ أَدَمَ عَنْ إِيْتَامِهِ وَهُوَ طَاعَةٌ وَصِيَّةٌ وَاحِدَةٌ. أَمَمَهُ يسوعُ المسيحُ وَأطاعَ الشَّرِيعَةَ بِجُمْلَتِهَا نِيَابَةً عَنْ الجنسِ البشريِّ. سَقَطَ أَدَمُ أَمَامَ إغْرَاءَاتِ إبليسَ. أَمَّا الرَّبُّ يسوعُ فَحينَ "جاءَهُ إبليسُ مُجرباً على جَبَلِ عالٍ جداً وأراهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ العَالَمِ وَمَجْدَهَا وَقَالَ لَهُ أَعْطِيكَ هَذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتُ وَسَجَدتُ لِي. قَالَ الرَّبُّ يسوعُ: اذْهَبْ يَا شَيْطَانِ. لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ". إِنْ التَّعَاطَمَ وَالكِبْرِيَاءَ وَالعُزُورَ وَالتَّعَالَى بِالذَّاتِ. هيَ وَسِيلَةٌ إبليسَ يَسْتخدِمُهَا لِإِسْقاطِ البِشَرِ. فلقدَ كانتُ سَبَبَ سَقوطِ زُهْرَةَ بِنْتِ الصُّبْحِ. لقدَ جاءَ بسفرِ أخبارِ الأيَّامِ الثاني الأَصْحاحِ السَّابِعِ قولُ الرَّبِّ: "فإذا تَوَاضَعَ شَعْبِي الذي دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ. وَصَلُوا وَطَلَبُوا وَجْهِي. وَرَجَعُوا عَنْ طَرِيقِهِمُ الرَّدِيَّةِ. فَإِنِّي أَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ. وَأَغْفِرُ خَطِيئَتَهُمْ وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ". لَيْسَ مِنْ وَسِيلَةٍ بِهَا نَقْتَرِبُ إلى اللهِ إِلا التَّوَضُّعَ قَدَامَهُ. وَالخُضُوعَ لِمَشِيئَتِهِ وَطَاعَةَ وَصَايَاهُ. بِهَذَا يَسْمَعُ لَنَا مِنَ السَّمَاءِ وَيَغْفِرُ خَطَايَانَا وَيُبْرِئُ أَرْضَنَا.^٣

لِيتَنَا نَدْرُكُ عَظَمَةَ مَحَبَّةِ الأبِ السَّمَاوِيِّ الذي أَرْسَلَ الابْنَ الوَحِيدَ يسوعَ المسيحَ الذي جاءَ عَنهُ بِالرَّسَالَةِ إلى العِبْرانيِّينَ أَنَّهُ: "بِهَاءُ مَجْدِ اللهِ وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ". وَجاءَ عَنهُ بِرَّسَالَةٍ بولسَ الرسولِ إلى مؤمنِي فيلبِّي الأَصْحاحِ الثاني أَنَّهُ "أخلى نَفْسَهُ أَخْذاً صُورَةَ عِبْدٍ صائِراً في شَبهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ في الهَيْئَةِ كَانِسانَ وَضَعَ نَفْسَهُ وَأطاعَ حَتَّى المَوْتِ مَوْتِ الصَّليبِ. إِذْ لِكَ رَفَعَهُ اللهُ أَيْضاً وَأَعْطاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكِي تَجثُو بِاسْمِ يسوعَ كُلُّ رَكْبَةٍ مِمَّنْ في السَّمَاءِ وَمَنْ على الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ. وَيَعْتَرِفُ كُلُّ لِسَانٍ أَنْ يسوعُ المسيحُ هوَ رَبُّ لِمَجْدِ اللهِ الأبِّ". وَجاءَ بِرَّسَالَتِهِ إلى مؤمنِي أفسُسَ مُشيراً إلى الأبِّ: "لِتَعْلَمُوا ما هوَ رَجاءُ دَعْوَتِهِ وَمَا هوَ غِنَى مَجْدِ مِيراثِهِ في القَدِيسِينَ. وَمَا هيَ عَظَمَةُ قَدْرَتِهِ الفائِقةِ نَحْوِنَا نحنُ المُؤْمِنِينَ حَسَبِ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ. الذي عَمَلُهُ في المسيحِ إِذْ أَقامَهُ مِنَ الأَمواتِ وَأَجلسَهُ عَنْ يَمِينِهِ في السَّمَاوِيَّاتِ. وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَاساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ التي هيَ جَسَدُهُ".^٤

أدعوكُ أختي لِتَشْتَرِكَ مَعِي في تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبانا السَّمَاوِيِّ.. نَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ سِلاحِكَ الكامِلِ. الذي يُمكننا بِهِ أَنْ نَقاومَ إبليسَ حَصَمَنا. راسخينَ في الإيْمانِ. واثقينَ أَننا مُنتصرونَ بِكَ يَا مَنْ أَحْبَبْتَنَا إلى المُنتَهَى.. نرفعُ صَلاتنا في اسمِ يسوعَ فادِينا البارِّ. وَنَسْتَدُ على وَعَدِكَ الصَّادِقِ يَا مَنْ قَلتَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لا أَخْرَجُهُ خَارِجاً.

أختي القارئ العزيز.. إن أردتَ سَماعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أو غيرَها سَتَجِدُ ذَلِكَ في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل لوقا ٤: ١٨ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنِي فيلبِّي ٣: ٢٠ - ٢١

^٢ سفر التكوين ٣: ١ - ١٣

^٣ إنجيل متى ٤: ١ - ١١ ، إنجيل لوقا ٤: ١ - ١٣ ، سفر أخبار الأيَّام الثاني ٧: ١٤

^٤ الرسالة إلى العِبْرانيِّينَ ١: ٣ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنِي فيلبِّي ٢: ٧ - ١١ ، رسالته إلى مؤمنِي أفسُسَ ١: ١٨ - ٢٣